التأريخ والمؤرخون
في عصر الدولة العلوية

لا زالت الدولة العلوية أكثر الدول المغربية تأليفا تاريخيا، باعتبار انفساح أيامها، واعتبارا – أيضا – بمعايشتها لمرحلة نهضة أوربا وخصوصا القرن التاسع عشر. وقد بدأ تدوين المصادر العلوية مع أيام السلطان مولاي إسماعيل، ثم ازدهرت بعد، عبر أيام ثلاثة من الملوك، انطلاقا من السلطان محمد بن عبد الله، وبتوجيهه كان تدوين سفرائه لرحلاتهم؛ ثم حفيده السلطان محمد الرابع، وهو الذي اقترح على أكنسوس تأليف "الجيش العرمرم"؛ ثم تصاعد هذا الاهتمام مع السلطان الحسن الأول، وهو المشير على شيخه أحمد بن الحاج العالم الفاسي، بتدوين "الدر المنتخب المستحسن" وفي مراكش ندب عالمها محمد بن إبراهيم السباعي، إلى تأليف "البستان الجامع لكل نوع حسن".

وبهذه المبادرات، وما انضاف لها من أعمال خواص المؤلفين، تجمعت ثروة مصدرية ضخمة، افترق أصحابها بين مؤرخين يقدرون مهمتهم، ومنهم الزياني في "الترجمان" ومشتقاته، ثم الناصري في "الاستقصا"، وبقية من علماء مرموقين لم يزاولوا مهنة التاريخ، فلما ألفوا في هذه المادة لم يسيروا على خطة واضحة، وضخموا أعمالهم بالاستطرادات المنوعة، على الرغم من أنهم حافظوا على مجموعة مهمة من الإفادات الموضوعية، وكانت تضيع لو لم يدونوها. ويلاحظ أن غالبهم اهتم بالجانب السياسي، وأهمل بحث المجتمعات والظواهر الاقتصادية والمعني الحضارية، وانهم انقسموا بين مرخين رسميين كالزياني وأكنسوس وابن الحاج والسباعي وابن زيدان، وغير رسميين وهم البقية.

أ- أنواع مؤلفات التأريخ للدولة العلوية:

تعتبر الدولة العلوية أكثر الدول المغربية تنوعا في المصادر التاريخية حيث شهدت كتابات متعددة من طرف العديد من المؤرخين الذين كتبوا عنها الكثير من مؤلفات والكتب القيمة والمتنوعة حيث أنهم أبدعوا في كتاباتهم من خلال تدوينهم لأهم الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية والتي أفادتنا كثيرا في معرفة تاريخ العلويين وعصرهم.

وقد تنوعت مصادر التأريخ عند مؤرخي الدولة العلوية، وهي في المجمل:

1ـ تواريخ المغرب الإسلامي العام:

من أشهرها كتاب"الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" للمؤلف أبي العباس أحمد بن خالد الناصري يعتبر أول كتاب مغربي يذكر تاريخ المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن 19. غاية المؤرخ من هذا النوع من الكتب هو وضع تاريخ عام ينطلق من بدء الخليقة، فيذكر الدولة الإسلامية بالمشرق والمغرب، ونلاحظ أنه توسع في الفصول خاصة بالسعديين والعلويين إلى سنة 1813م، الجزء السابع والثامن والتاسع تناول سلاطين الدولة العلوية حتى عهد السلطان عبد العزيز بن حسن الأول، اعتمد على الاقتباس من مختلف المراجع لكبار المؤرخين المغاربة.

2ـ التاريخ المحلي للمغرب الأقصى:

ومنه **" تاريخ الضعيف الرباطي"** للمؤلف أبي عبد الله محمد بن المرابط عبد السلام الملقب بالضعيف الرباطي، تناول فيه تاريخ الدولة العلوية إلى سنة 1818م اعتمد الرباطي على عدة مصادر،و استعمل فيه الدارجة، وتطرق إلى قضايا اجتماعية واقتصادية هامة.

يمتاز أسلوبه بالصراحة والدقة في الكلامن وقد ذكر أحداثا حساسة سكت عنها آخرون، والواقع أن الرباطي نقل جل كتابه من كتاب " زهر الأكم"، للمؤرخ الحاج عبد الكريم الريفي.

ومنه "الجيش العرموم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي سجلماسي"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس السوسي المراكشي، وزير السلطان سليمان. ولد بمراكش سنة 1796م، ، ألف هذا الكتاب اقتراحا من السلطان محمد الرابع، ووزع مواضيعه الرئيسية بين خمسة أقسام على ترتيب الجيش في الحروب، أرخ فيه للدولة العلوية إلى أيام محمد الرابع في حوليات متتابعة، وختمه بالحديث عن سياسة الملك والوزراء والحجاب والكتاب، مع تراجم الوزراء العلويين.

قد سجل في هذا الكتاب ملاحظات مهمة عن تطور نظام الحكم في المغرب خلال عهد الدولة العلوية، ووظائفه السياسية والادارية وغيرها ومعلومات مهمة عن مسؤولين في البلاط العلوي. واعتمد على الزياني في البستان الظريف والترجمانة، ولم يحرز الكتاب على تقدير العلماء والمؤرخين في عصره نظرا لأخطائه في فهارس كتبه التاريخية.

ومنه **"الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن "** تأليف ابن الحاج أحمد بن محمد بن حمدون السلمي المرادسي. رتبه في 12 بابا، خص الباب الثامن للتعريف بالنسب العلوي، والتاسع للحديث عن تاريخ الدولة العلوية من نشأتها إلى عهد السلطان سليمان، مرتبا على شكل حوليات.

ومنه: **"الدر المنضد الفاخر بما لأبناء مولانا الشريف من المحاسن والمفاخر"**، للمؤلف أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن أحمد الحسني الفاسي الكردودي، دون فيه تاريخ الدولة العلوية حتى عصره، عرف فيه بأولاده علي الشريف جد الأسرة العلوية.

ومنه: **"الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها الغير المتناهية"** للمؤلف محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسني. وهو عبارة عن قصيدة نظمها الأديب الغالي بن المكي بن أحمد بن سليمان الفاسي فشرحها المشرفي، فكان شرحه وثيقة تاريخية وسياسية ونصوصا شعرية ونثرية، وفكرية، ثقافية، علمية لكل عهد من عهود الدولة العلوية.

ومنه: **" الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام"** أو ديوان العبر في أخبار القرن الثالث عشر" لمؤلفه أبي العلاء إدريس، يبدأ الحديث عن السلطان سليمان ويذكر مآثره، ثم عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام مبرزا انجازاته، إضافة إلى كبار موظفي الدولة، وقضاتها. اهتم بالحوادث الطبيعية، كما تطرق إلى احتلال فرنسا للجزائر وحملة نابليون على مصر والدعوة الوهابية...

ومنه: **" نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"** لمؤلفه أبي عبد الله محمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني (الإفراني) المراكشي، يتناول هذا الكتاب تاريخ الدولة السعدية منذ بدايتها، ويذكر ملوكها. ثم يذكر بداية الدولة العلوية والسلاطين الثلاث، محمد الشريف والرشيد ويختم الكتاب بعهد السلطان اسماعيل مع ذكر مآثره. اشتمل الكتاب على 81 مبحث: منها 75 للسعديين والباقي لأوائل السلاطين العلويين.

وبحكم وظيفته في المخزن أنه اعتمد في كتابه على بعض المستندات الرسمية، واهتم الكاتب في مؤلفاته بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية أكثر من السياسية والعسكرية، والواقع أن معاناة المؤرخ وأحداث حياته الخاصة انعكست على مؤلفاته وأسلوبه ومنهجيته تقوم على الموضوعية العلمية.

ومنه: **"زهم الأكم"**، لمؤلفه الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، الكتاب عبارة عن تاريخ خاص بالدولة العلوية، من دخول شرفاء العلويين سجلماسة إلى عهد السلطان عبد الله بن اسمعيل. عاش المؤلف أيام السلطان عبد الله بن اسماعيل، وكان مولده بمنطقة البراق، بحيث درس بها، وعمل بالبلاط العلوي وقد صنفه الرباطي من المؤرخين الفقهاء.

3ـ **الأنســـــــاب**:

فمنها: **"التحفة القادرية في التعريف بشرفاء أهل وزان"** لأبي محمد عبد السلام بن عبد الله بن الخياط القادري الحسني، أتى فيه على جل حوادث المائة الحادية عشر بقلم سيال وعبارة تامة، وحرية وفكر.

ومنها: **"البستان السني في النسب الحسني والحسيني"**، أو الدرة اليتيمة الفاخرة في ذرية أهل الدنيا والآخرة، لأبي عبد الله محمد بن قاسم القادري الحسني، رتبه على مقدمة وأحد عشر فصلا وخاتمة.

ومنها: **"الأنوار الحسنية في نسب من سجلماسة من الأشراف المحمدية"**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد عبد العزيز بن يوسف بن علي الشريف العلوي الحسني، تحدث عن قدوم الحسن بن القاسم محمد النفس الزكية إلى المغرب، ونزوله بسجلماسة ثم عن ولده محمد وذريته، ويختم الكتاب بذكر أولاد السلطات اسماعيل وفتوحاته.

ومنها: **"أنساب أهل العدوتين سلا والرباط"**، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الذكالي المتقدم رتبها على ستة أقسام.

ومنها: **"الأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة"**، لأبي عبد الله محمد التهامي بن محمد بن أحمد بن رحمون العلمي، تكلم فيه عن شرفاء جبل العلم.

ومنها: **"ديوان الأشراف"**، لأبي الحسن علي بن عبد السلام العلمي الحسني، نقيب الأشراف على عهد اسماعيل، جمعه بأمر منه ، وفي هذا الديوان يقول الزياني « أمر السلطان اسماعيل أعيان شرفاء العلم وعلماءهم وقضاة القبائل وأعيانه أن يعينوا سريعا فقيها عالما بأنساب الأشراف وأصولهم، ويقفوا معه حتى يميزوا الأشراف من أجل الدعاوى بكل قبيلة وكل قرية، فقاموا لذلك وكل قرية يحضر أعيانها، وكل من وجدوه من الدخلاء أزالوا ما بيده من الرسوم وكتبوه في دفتر، ومن نسبه صريح كتبوه في دفتر».

وكتب الأنساب كثيرة، وفيها تواريخ تعرف بالحال الاجتماعية للمغرب الأقصى في كل عصوره وخاصة العلوي منه.

4ـ التراجم والســـير:

وهي كثيرة، ومنها: **"الجيش العرمر الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي"**، لأبي عبد الله بن أحمد أكسنوس المراكشي، علامة وأديب وشاعر.

وكذا: **"الدرر النسبية والمفاخر العلية في الدولة العلوية"** لأبي محمد عبد السلام بن محمد اللجائي العمراني، عرف فيه بالسلطان الحسن بن محمد المتقدم.

و **"الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب"** لأبي عبد الله محمد بن الطيب العلمي الحسني، ترجم فيه لأحد عشر أديبا من أدباء الغرب من أهل عصره.

ومنها: **"سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"** لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، يعتبر نموذجا للمؤلفات المغربية، يملك بكتبه خمس عشرة سنة وقد قصد أن يخصص لكل الشخصيات الشهيرة من بين العلماء والصلحاء المدفونين في فاس ترجمة طويلة أو قصيرة.

ومنها: **"تأليف في أعيان الأعيان الذين ألفوا، ومعهم أعيان المدرسين الذين لم يؤلفوا"** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الفهري، قال عنه صاحب " نشر المثاني" ، لم يؤلف في فنه مع الاختصار، تبع طريق الذهبي في صناعته، واقتصر على النسب والبلد والرحلة والأشياخ والتلاميذ وسرد مؤلفاته وبيان الحال من غير تعصب ولا عناء سلك في ذلك مسلك العدل والأنصاف، وذكر المولد والوفاة، رتبه على أجزاء، كل جزء مرتب على حروف المعجم، جعل أعيان النحاة الذين ألقوا في علم النحو في جزء، ثم البيانين ثم المناطقة، ثم الأصوليين، ثم المتكلمين. ثم من ألف في اصطلاح الحديث والمصنفين فيه، ثم اللغويين، ثم المؤرخون والنسابين.

ومنها: **"سنا المهتدى إلى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي"** للزرويلي علي بن أحمد بن قاسم بن موسى مصباح الحسمي المتوفى 1718م، دون فيه ترجمة موسعة لأبي العباس أحمد بن الحسن بن أحمد اليحمدي نزيل مكناس، ووزير السلطان أبي الفداء اسماعيل بن الشريف، ثم ختمه المؤلف بترجمته الذاتية.

ومنها: **"البدور الضاوية في مناقب الزاوية الدلائية"** لأبي الربيع الحوت سليمان بن محمد بن عبد الله الحسني العلمي الموضوعي الشعشاوني نزيل فاس، توفي 1816. وهو يصف عروضه في ثمانية أبواب مقسمة إلى فصول فمهد بذكر نسبهم وأسلافهم، لينتقل إلى تراجم رؤساء وأعلام الزاوية الدلائية أيام ازدهارها، وسار مع المنتقلين منهم إلى فاس حتى استوعب 42 ترجمة مطولة، تخزن إفادات تاريخية نادرة فضلا عن عدد من الوثائق.